وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها
بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه
تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لم
يعلمون وفيه تعريض لمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يتبين لهم وقيل ما
تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا
يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف
الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه
بمن يحترف به فان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على
المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع قبل ادم فيكون من
الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم
تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان
ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انبأهم باسمائهم وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي
خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
عطف الظرف على الظرف ان نصبته بمضمر والا عطف بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الا
خرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال
وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به
اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا
لوجوبه فانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة
لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور
ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو
التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط
به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او
يعظمه

او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان
يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم
باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع
للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان ادم عليه السلام افضل من الملائكة الما
مورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه
منهم ولا يرد ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولا
ن ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة
ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن كانوا ايضا مأمورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم
ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين وكانه قال فسجد المأمورون بالسجود
الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغا
لب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات
كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه
التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال
كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملا
ئكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك
غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة
مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى
الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية
استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للو
جوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال
مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا
تنبيها على ان المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها
ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا
لادم عليه السلام وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا
رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعذر
في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)